

أبو العلاء المعري

(٣٦٣هـ - ٤٤٩هـ)

حياة الشاعر :

هو شاعر وفيلسوف عربي ، واسمه هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التتوخي، تعود أصوله إلى أسرة بني سليمان، والتي تعود إلى قبيلة تنوخ، ولد في مدينة معرة في سنة (٣٦٣هـ)، وفقد بصره وهو في الرابعة من عمره بسبب مرض الجدري، وقد أطلق عليه أباه أبو العلاء، لكنه اشتهر بلقب آخر هو (رهين المحبسين)؛ لأنه كان أعمى وعزل نفسه في بيته، وراح يقرأ الشعر في سن الحادية عشرة من عمره، ثم انتقل إلى حلب من أجل الدراسة، فدرس علوم الأدب واللغة والتفسير والحديث والفقه والشعر، كما دلّت أشعاره على أنه كان عالماً بالمذاهب والأديان والتاريخ وغير ذلك، أمّا وفاته فقد كانت في سنة (٤٤٩هـ) عن عمر يناهز الثلاثة والثمانين، وكان قد اجتمع على قبره عدد كبير من الشعراء لراثائه؛ وذلك تقديرًا لدوره في الأدب .

شعره : ومن أهم مؤلفاته، هي:

١- ديوان اللزوميات ٢- ديوان سقط الزند ٣- رسالة الغفران

القصيدة :

عَيْرٌ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي وَاعْتِقَادِي نَوْحٌ بَاكِ وَلَا تَرْتَمُ شَادِ
وَشَبِيهَةٌ صَوْتُ النَّعِيِّ إِذَا قَبِ سَ بِصَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادِ
أَبَكْتُ تَلْكُمُ الْحَمَامَةُ أَمْ عَنَدُ نَتُّ عَلَى فَرْعِ غُصْنِهَا الْمَيَادِ
صَاحِ هَذِي قُبُورُنَا تَمْلَأُ الرَّحْدَ بَ فَأَيْنَ الْقُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادِ
خَفَّفِ الْوَطْءَ مَا أَظُنُّ أَيْدِيَّ ال أَرْضِ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ
رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مِرَارًا ضَاكِكِ مِنْ تَرْلَحْمِ الْأَضْدَادِ
وَدَفِينِ عَلَى بَاقِيَا دَفِينِ فِي طَوِيلِ الْأَزْمَانِ وَالْآبَادِ

معاني المفردات :

مفيد	مجد
شريعة	ملة
تدينه بعقيدة	اعتقادي
بكاء	نوح
القبر	لحد
خبر الموت	النعي
الخبر السار	البشير
تغنى	ترنم
مغني	شاد
كثير التمايل	المياد
صاحبي	صاح
المكان المتسع	الرحب
داسه بقدمه	الوطء
ظهر الأرض	أديم الأرض

أهمية القصيدة :

تتجلى أهمية القصيدة في تعبيرها عن تشاؤم فلسفي عميق، حيث يرى المعري أنّ الحياة مُجرد تعب وشقاء، ولا يرى جدوى في الاعتقادات الدينية الموروثة أو السعي للحياة الدنيوية، كما أنّ القصيدة تقدم رؤية سوداوية للحياة والوجود، وتعكس فلسفة المعري الزاهدة في الحياة، وتشكل نقدًا لاذعًا للحياة البشرية وتعبها . لذا فإنّ سبب نظم القصيدة هو :

١. تشاؤم فلسفي : يرى أبو العلاء أنّ الحياة مجرد تعب .
٢. تجنب المعاناة : يرى أنّ من ينجب في هذه الحياة القاسية يرتكب ذنبًا، لذلك قرر أن لا ينجب أطفالًا ليجنبهم المعاناة .
٣. كيف وزاهد : بسبب عماه وفلسفته، كان يرى الحياة بطريقة مختلفة، وهو ما جعله يتبنى وجهة نظر متشائمة .

شرح القصيدة :

١. (غيرُ مُجدٍ في ملّتي واعتقادي *** نوحُ باكِ ولا ترنُّمُ شادي): يُعبّر المعري في هذا البيت عن عدم جدوى البكاء أو الغناء في نظره. فهو يرى أن الحياة لا تستحق الحزن ولا الفرح .
٢. (وشبيهة صَوْتُ النَّعِيِّ إذا قيس *** بصوتِ البشيرِ في كلِّ نادٍ): يصف المعري هنا تناقضات الحياة، حيث يشبه صوت النعي (البكاء على الموتى) بصوت البشارة. فهو يشير إلى أن كلاهما يتساوى أمام حقيقة الموت .
٣. (أبكتُ تلكمُ الحَمَامَةَ أم غنّت *** على فَرْعِ غُصْنِهَا الميَادِ؟): يتساءل هنا إن كانت الحمامة تبكي أم تغني، ما يعكس عدم اليقين في معرفة الحقيقة والغاية من مشاعر الكائنات .
٤. (صاح، هذي قبورنا تملأ الرُّحْبَ *** فأينَ القبورُ من عهدِ عادٍ؟): يشير إلى مرور الزمن وفناء البشر، حيث تملأ القبور الأرض، ويتساءل عن مصير القبور القديمة مثل قبور قوم عاد الذين اندثروا .
٥. (خَفَّفِ الوَطءَ ما أظنُّ أديمَ *** الأرضِ إلا من هذه الأَجْسَادِ): يوصي بتخفيف الخطى على الأرض، مشيرًا إلى أن الأرض تكاد تكون مصنوعة من الأجساد التي دُفنت فيها عبر العصور .
٦. (رَبِّ لَحدٍ قد صارَ لَحدًا مرارًا *** ضاحِكٍ من تراحمِ الأَضْدَادِ): يتحدث هنا عن القبور التي أصبحت قبورًا لأناس مختلفين على مر العصور، مما يشير إلى استمرارية الموت وتناقضات الحياة .
٧. (ودَفِينِ على بقايا دفينٍ *** في طويلِ الأزمانِ والأَبَادِ): يشير إلى أن الأموات الجدد يدفنون فوق بقايا الأموات السابقين، في صورة تعكس تتابع الأجيال وتوالي الحياة والموت .

تحليل القصيدة :

نظمت هذه القصيدة على البحر الخفيف، وتعد من أهم قصائد الشاعر، إذ جاءت مملوءة بالحكم والمواعظ، وهي تُعنى بفلسفة الحياة والموت، وتصف الوجودَ ومعانيه الظاهرة والخفية، ومثلت خلاصة فكر المعري وهي قصيدة تنتمي إلى غرض الرثاء؛ لأنَّ الشاعر كتبها في رثاء الفقيه الحنفي أبي حمزة، وقد وصفها الأديب طه حسين من أحسن قصائد الرثاء في الشعر العربي، إذ لم يُكتب مثلها لا في الجاهلية ولا في الإسلام .

يُصوّر المعري الحياة مجردة، وإنَّ تصويره يُعطي مظاهر الموت والحياة نفسها التي يصفها بالعمق والروح إلا إنَّها رُوحٌ مُثقلَةٌ بالفراغ واللاجدوى، فهو يعتمد على الصدق في التعبير، ويقدم خواطره وحكمته بجرأة وعمقٍ .

أكثر المعري من التساؤلات في القصيدة عن خلق الإنسان وما الهدف من ذلك فهو الخليف في الأرض والحاكم، وهو من يعمل وينشر الخير والسلام والعدل والتسامح، وبها يخلد ذكره وتُروى أفعاله على لسان الناس، كذلك جعلنا الشاعر نفكر كثيرا في الإجابة عن أسئلته الكثير في القصيدة وعن حركة الناس والأجيال وخروجهم من الأرض وعودتهم مرة أخرى إليها .

الأفكار العامة في القصيدة :

أظهر الشاعر في قصيدته المشهورة التي أرثى فيها صديقه أبا حمزة مجموعة من الأفكار الرئيسية المهمة، وهي:

الفكرة الأولى: يتحدث الشاعر عن أهمية الاجتهاد في الحياة، وبيان النتيجة التي ينالها الإنسان .

الفكرة الثانية: يعبر الشاعر عن ان الموت هو راحة للإنسان من تعب الحياة .

الفكرة الثالثة: يوضح الشاعر أنّ هلاك الأمم السابقة ما هو إلا دلالة على الهلاك .

الفكرة الرابعة: يبين الشاعر أنّ الفناء هو مصير البشرية .

الفكرة الخامسة: توضيح الشاعر أنّ الفرق بين الناس يكمن بدخول الجنة أو النار .

الفكرة السادسة: تحذير الشاعر من عدم الاغترار بالحياة، فهي دار الهلاك .

الفكرة السابعة: يبين الشاعر أهمية العمل للأخرة، فالحساب قادم لا محال .

الخصائص الفنية في القصيدة :

- ١ . استخدمَ الشاعرُ الألفاظَ القويةَ والعميقةَ .
- ٢ . التعقيد في الأفكار والتشعب إلى درجة كبيرة .
- ٣ . قوة في الأسلوب وجمال في الجرس الموسيقي .
- ٤ . وجود ظاهرة التقطيع الموسيقي الذي يزيد الشعر جمالاً .
- ٥ . وضوح التراكيب وسهولة الصياغة والبيان .